

تفسير البحر المحيط

@ 116 % (إذا سئلوا ما لهم من علا % .

أشاروا إلى أعظم ناخره .

%) .

.

ومن ذلك : افتخار أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بآبائهم ، واحترام الناس لهم بذلك وتعظيمهم لهم ، وإن كان الأولاد بخلاف الآباء في الدين والصلاح . وقرأ الجمهور : إن ، بكسر الهمزة ؛ وابن عباس : بفتحها ، وكان قرأ : لتعرفوا ، مضارع عرف ، فاحتمل أن تكون أن معمولة لتعرفوا ، وتكون اللام في لتعرفوا لام الأمر ، وهو أجود من حيث المعنى . وأما إن كانت لام كي ، فلا يظهر المعنى أن جعلهم شعوباً وقبائل لأن تعرفوا أن الأكرم هو الأتقى . فإن جعلت مفعول لتعرفوا محذوفاً ، أي لتعرفوا الحق ، لأن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ساغ في لام لتعارفوا أن تكون لام كي . .

{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا } ، قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة ، قبيلة تجاور المدينة ، أظهروا الإسلام وقلوبهم دخلة ، إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا . وقيل : مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار قالوا آمنا فاستحققنا الكرامة ، فرد الله تعالى عليهم بقوله : { قُلْ لَّسْمْ تُوْمِنُونَ } ، أكذبهم الله في دعوى الإيمان ، ولم يصرح بإكذابهم بلفظه ، بل بما دل عليه من انتفاء إيمانهم ، وهذا في أعراب مخصوصين . فقد قال الله تعالى : { وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } الآية . .

{ وَلَآكِن قَوْلُهُمْ أَتَسْلَمُونَ } ، فهو اللفظ الصادق من أقوالكم ، وهو الاستسلام والانقياد ظاهراً ، ولم يواطئه أقوالكم ما في قلوبكم ، فلذلك قال : { وَلَآ تَدْعُونَ } إلايماناً في قولهم بركم : وجاء النفي بلما الدالة على انتفاء الشيء إلى زمان الإخبار ، وتبين أن قوله : { لَّسْمْ تُوْمِنُونَ } لا يراد به انتفاء الإيمان في الزمن الماضي ، بل متصلاً بزمان الإخبار أيضاً ، لأنك إذا نفيت بلم ، جاز أن يكون النفي قد انقطع ، ولذلك يجوز أن تقول : لم يقم زيد وقد قام ، وجاز أن يكون النفي متصلاً بزمن الإخبار . فإذا كان متصلاً بزمن الإخبار ، لم يجز أن تقول : وقد قام ، لتكاذب الخبرين . وأما لما ، فإنها تدل على نفي الشيء متصلاً بزمان الإخبار ، ولذلك امتنع لما يقيم زيد وقد قام للتكاذب . والظاهر أن قوله : { لَّسْمْ * يَدْعُونَ } إلايماناً في قولهم بركم : { قُلْ لَّسْمْ تَدْعُونَ } ليس له تعلق بما قبله من جهة الإعراب . وقال الزمخشري : فإن قلت : هو بعد قوله : { قُلْ

لَمْ تَوْعَدُوا ° { يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة ؛ قلت : ليس كذلك ، فإن فائدة قوله : { لَمْ تَوْعَدُوا ° } هو تكذيب دعواهم ، وقوله : { وَلَمْ يَدْعُوا ° } إلايمانُ فَيُؤْمِرُكُمْ ° { توقيت لما أمروا به أن يقولوه ، كأنه قيل لهم : { وَلاَ كُنْ قَوْلُوا ° أَسْلَمْنَا } حين لم يثبت مواطاة قلوبكم لألسنتكم ، لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله : { قَوْلُوا ° } . انتهى . .

والذي يظهر أنهم أمروا أن يقولوا : { قَوْلُوا ° أَسْلَمْنَا } غير مقيد بحال ، وأن { وَلَمْ يَدْعُوا ° } إلايمانُ { إخبار غير قيد في قولهم . وقال الزمخشري : وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد . انتهى ، ولا أدري من أي وجه يكون ما نفي بلما يقع بعد ولما ، إنما تنفي ما كان متصلاً بزمان الإخبار ، ولا تدل على ما ذكر ، وهي جواب لقد فعل ، وهب أن قد تدل على توقع الفعل . فإذا نفي ما دل على التوقع ، فكيف يتوهم أنه يقع بعد : { وَلاَ إِن تَطِيعُوا ° * اللّٰهَ ° وَرَسُولُهُ ° } بالإيمان والأعمال ؟ وهذا فتح لباب التوبة . وقرأ الجمهور : { لاَ يَلِدْكُمْ ° } ، من لات يليت ، وهي لغة الحجاز . والحسن والأعرج وأبو عمرو : ولا يألئكم ، من ألت ، وهي لغة غطفان وأسد . } ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ° { ، ثم تقتضي التراخي ، وانتفاء الريبة يجب أن يقارن الإيمان ، ف قيل : من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان ، أي ثم أقول لم يرتابوا . وقيل : قد يخلص الإيمان ، ثم يعترضه ما يثلم إخلاصه ، فنفي ذلك ، فحصل التراخي ، أو أريد انتفاء الريبة في الأزمان المتراخية المتطاولة ، فحاله في ذلك كحاله في الزمان الأول الذي آمن فيه . } أَوْلَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ° { : أي في قولهم آمنا ، حيث طابقت ألسنتهم عقائدهم ، وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال . وفي سبيل الله يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية ، وليسوا كأعراب بني أسد في قولهم آمنا ، وهم كاذبون في ذلك . .

{ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللّٰهَ ° بِدِينِكُمْ ° } ، هي منقولة من : علمت به ، أي شعرت به ، ولذلك تعدّت إلى واحد